

الأمثال في القرآن الكريم

(246) إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتُ بِشَهَادَةٍ مَا تَلِيهَا تَبِينَ حَالُ كَفَّارِ قَرِيشٍ وَ مُشْرِكِي مَكَّةَ الَّذِينَ أَشْعَلُوا فَتِيلَ الْحَرْبِ فِي بَدْرٍ . فَقَالَ : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أَيِ مَنْعُوا الْآخِرِينَ مِنَ الْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِ الْإِسْلَامِ ، فَهُوَ لَاءُ أَضْلٍ أَعْمَالُهُمْ ، أَيِ أَحْبَطَ أَعْمَالُهُمْ وَجَعَلَهَا هَبَاءً مَنْثُورًا . فَلَا يَنْتَفِعُونَ مِنْ صَدَقَاتِهِمْ وَعَطِيَّاتِهِمْ إِشَارَةٌ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ صَنَادِيدِ قَرِيشَ الَّذِينَ نَحَرُوا اللَّيْلَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ وَ قَبْلَهُ . فَيَقَابِلُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا قَالَ : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) . فَلَوْ أَنَّ سُبْحَانَهُ أَضْلَى أَعْمَالَ الْكَافِرِينَ وَأَحْبَطَ مَا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ صَدَقَاتٍ ، لَكُنْزُهُ سُبْحَانَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى جَعَلَ صَالِحَ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ كِفَارَةً لِسَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بِهِمْ . فَتَشْتَانُ مَا بَيْنَ كَافِرٍ وَصَادِقٍ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، يَحْبُطُ عَمَلُهُ ، وَمُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَبِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، يَكْفُرُ سَيِّئَاتِهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِ . وَمِنْ هَذَا التَّقَابُلِ عِلْمُ مَكَانَةِ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ ، كَمَا عِلْمُ نَتَائِجِ أَعْمَالِهِمَا . ثُمَّ إِنَّ سُبْحَانَهُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْكَافِرِينَ يَقْتَفُونَ أَثَرَ الْبَاطِلِ وَلِذَلِكَ يَضِلُّ أَعْمَالُهُمْ ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَتَّبِعُونَ الْحَقَّ فَيَنْتَفِعُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَقَالَ : (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ) . وَفِي خَتَامِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ ، قَالَ : (كَذَلِكَ يُضَرَّبُ لِلنَّاسِ أَمْثَالُهُمْ) أَيِ كَذَلِكَ يَبِينُ حَالُ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَ نَتَائِجُ أَعْمَالِهِمَا وَ عَاقِبَتُهُمَا . وَعَلَى ذَلِكَ فَالْآيَةُ لَيْسَتْ مِنْ قَبِيلِ التَّمْثِيلِ ، بَلْ بِمَعْنَى الْوَصْفِ ، أَيِ كَذَلِكَ يَصِفُ سُبْحَانَهُ لِلنَّاسِ حَالُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ وَ عَاقِبَتُهُمَا . فَلَيْسَ هُنَاكَ أَيُّ تَشْبِيهِ